# سأصبح معلمة ويتحقق الحلم

تغريد عليان قدح

كأي فتاة تذهب في يومها الأول إلى الصف الأول في إحدى مدارس المملكة الأردنية الهاشمية، حيث تلبس الجديد وتتباهى به أمام عائلتها، رأيت نظرات الفرحة في عيون أبي والبسمة تعلو شفتيه، وهو يقول إن شاء الله تكتمل فرحتي حين أراك معلمة. منذ صغري وأبي يرددها، وكانت أمنيته.

تمر الأيام والسنين الدراسية، وبتشجيع من أبي وأهلي، ليتحقق حلمهم. كنت متفوقة في دراستي، وفي العطلة الصيفية العام 1986، بعدما أنهيت الصف السادس، كان موعد زواج أختي التي تكبرني بأربعة أعوام، حيث كان عمرها لا يتجاوز السادسة عشرة، ومصيرها في ذلك مصير أخواتي الأكبر، حيث الزواج المبكر في عرف أبي هو الأفضل للبنت، وهذا هو مصيرها في النهاية - بيت زوجها، لكن –وقتها- كانت النظرة لي مختلفة؛ فأبي يريدني أن أكمل تعليمي، ولطالما ردد على مسامعي «أبنتي هذه أريدها أن تصبح معلمة».

هذه الكلمات قد علقت في ذهني، وكأنها نقش على حجر، وكان كل همي أن أحقق أمنية أبي، والسر في حنانه وحبه لي اللذين كانا يجعلانني أعمل المستحيل من أجل أن أراه فقط مبتسماً.

جئنا من الأردن إلى الضفة الغربية لزواج أختي، وهذه أول زيارة لي إلى الضفة الغربية، وإلى أقاربي، وأعمامي، وخالاتي ... كالعادة يكون التعارف سريعاً، والكل في البداية عندي سواء، فما زلت في الثانية عشرة من عمري. وتمضي الأيام ويتم الزواج، وتنتهي فترة الزيارة ونعود إلى بيتنا في الزرقاء، وعدت إلى مدرستي لاستكمال دراستي في الصف الأول الإعدادي والثاني الإعدادي، ولكن تبقى في الذاكرة زيارة الأهل والأقارب والحنين إلى الوطن الأم.

وفي العام 1988، حضر عمي لزيارتنا طالباً يدي من أبي لابنه، رد

طالبات خلال مشاركتهن في أنشطة فعاليات مركز نعلين بإشراف المعلمة تغريد قدح.

الأمر أبي لي، ولم أكن قد بلغت الرابعة عشرة من عمري، وجدت أبي قد وافق على الأمر فوافقت على هذا، وعندها قال لي: «أنتِ من يريد ذلك». وكأنها جملة عتاب لي؛ أنني لن أحقق له حلمه، وأنه وافق لإرضاء أخيه.

بعثت لنا التصاريح، وذهبنا إلى الضفة الغربية أنا وأبي وبعض أخواتي وأمي. ذهبنا إلى المحكمة لإجراء «كتب الكتاب»، إلا أن القاضي قال إن عليكم الانتظار مدة شهر، حتى نستطيع أن نكتب الكتاب وتبلغ الخامسة عشرة من عمرها قمرياً. لم أكن أعلم هذه الحسابات وقتها، إلا أننا انتظرنا ذلك وتم عقد القران وتزوجنا.

وتمضي السنين، وأنجبت من البنين اثنين، ومن البنات أربع، وفي العام 2001، حيث كانت نقطة التحول في حياتي التعليمية، أنجبت طفلاً في مشفى رام الله بحالة طبيعية جداً، إلا أنه بعد ساعات وعند كشف الطبيب عن الطفل، تبين أنه يعاني من ضيق في النفس، نقل على إثره إلى وحدة الإنعاش. ويوماً بعد يوم كان يتحسن وضع

الطفل والأمل في الله كبير. ولم يمضِ الأسبوع حيث تعرض إلى جرثومة جعلته ينزف داخلياً. في الخامس من آذار العام 2001، تلقيت مكالمة من زوجي الذي كان برفقة الطفل في المشفى بأن عليك الحضور، ظننت أنني سوف أذهب لإرضاع الطفل، ذهبت إلى المشفى، وعند وصولي تفاجأت بأن الطفل قد مات، أصبت بصعقة وأغمي علي. أخذنا طفلنا وذهبنا، على أي حال مات الطفل، رضيت بقضاء الله وقدره، وكنت الأم المؤمنة الصابرة، حمدت الله واسترجعت ورفعت يدي إلى السماء، ودعوت الله عز وجل أن يجعله لنا قرة عين في الجنة، وأن يخلفني في مصيبتي خيراً.

بحزن وألم وحسرة ذهبت إلى بيت أبي لعلي أجد الونيس عندهم، ولكن المرض كان قد نال من أبي، فقد أصيب بجلطة في الدماغ، زاد ألمي من نظرات أبي الذي أريده أن يأخذني إلى حضنه ويضمني إلى صدره الحنون ويواسيني في مصيبتي، لكن مشيئة الله حالت دون ذلك.

تذكرت كلام أبي وحلمه في أن أصبح معلمة، ولكن هيهات هيهات يا أبي خيبت أملك، ولم أكمل تعليمي، حينها قلت في نفسي: ولم لا وزوجي معلم للأجيال، أفلا يستطيع تعليمي ومساندتي في أن أحقق الحلم، ذهبت إلى البيت وأخبرته بالأمر، بداية تردد وقال: المشوار طويل وصعب، هناك أولاد، ومنزل، وحياة اجتماعية، وامتحان مستوى وغيرها من الصعوبات، لكن أنا معك، وشجعني وأحضر لي كتب الصف التاسع، وكان خير مساند لي في سهر الليالي، وأنا اقرأ الكتب وأتابع من هنا وهناك.

تقدمت لامتحان المستوى في شهر تشرين الثاني من العام 2001، ونجحت، وكنت الأولى على المتقدمين. زاد الإصرار على مواصلة المشوار، وفي السنة نفسها قدمت أوراقي لمديرية التربية لتقديم امتحان الثانوية العامة، وكان ذلك، وبفضل من الله حصلت على الثانوية العامة، لم تسعني الفرحة، ولم أنسَ الحلم.

ذهبت إلى أبي وهمست في أذنه، قد نجحت في التوجيهي وسألتحق بالجامعة وأحقق أمنيتك يا أبي وأصبح معلمة. وكما تمنيت، رأيت الفرحة ارتسمت على محياه، وكان أحياناً يدرك ما يجري حوله، ضممته إلى صدري وقبلت رأسه «آه يا أبي الغالي، لو أنك بكامل قوتك، كم كانت ستكون فرحتي وفرحتك، ولكن الفرحة لا تكتمل، فكان الألم والحزن أقوى من ذلك كله، تذكرت طفلي فلذة كبدي الذي لم ولن أنساه ما حييت، ومرض أبي وهو أعز إنسان إلى قلبي، ولكن مشيئة الله فوق كل شيء.

وتبدأ الرحلة الجامعية وسنوات الدراسة، ما كنت مصدقة نفسي أنني في الجامعة، ولم أتصور ذلك الشعور الذي يخالجني فرحاً واعتزازاً وثقة بالنفس وعلو هامة، وأقول في نفسي أنا طالبة في الجامعة، وبعد أربع سنوات سأصبح معلمة ويتحقق الحلم. شعور لا يوصف، وفرحة عامرة ملأت قلبي، لحظة يتمناها الجميع.

الحكايات كثيرة والقصص والعبر أكثر، عالم مختلف، طلاب وطالبات على مقعد الدراسة، وأنشطة طلابية، وغيرها الكثير الكثير من الحياة الجامعية، وبعون الله تمر السنوات الأربع على تعبها ومشاكلها وتحمل أعباء الدراسة والبيت والأهل، وبفضل تشجيع الجميع مرت والحمد لله.

وتخرجت من الجامعة، واستلمت شهادة البكالوريوس بكامل الفرحة، على أمل الحصول على وظيفة معلمة في المدارس الحكومية أو الخاصة، ولكن هنا المصاعب والمصائب، فلا توظيف ولا وظيفة بعد ست سنوات من إنهاء الدراسة، وتقديم امتحان التوظيف في كل عام، ويكون دوري قريباً لا يتجاوز الرابع في الترتيب على تخصصي، ولا أمل في الوظيفة ... لكن، هذا العام، تمكنت من الحصول على وظيفة معلم بديل في قرية بعيدة جداً، ويبقى الأمل في الله وحده.

جانب من فعاليات مركز المعلمين في نعلين.

**مدرسة بيتين الثانوية للبنات/**

**رام الله**